

اليقين

في معرفة رب العالمين

بقلم

محمّد عليّ محمّد الطاهر

طبعة جديدة ومزودة ومنقحة

الطبعة الثانية ٢٠١٥

عدد الصفحات (٤٧ صفحة)

رقم الإيداع : (٧٠٦٨ / ٢٠١٣)

تاريخ الإيداع : ١٤ / ٣ / ٢٠١٣

الترقيم الدولي ٧-٢٠٥٠٢-٩٠-٩٧٧-٩٧٨

كل الحقوق
محفوظة



مُتَكَلِّمًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ بِمَا خَلَقْتَنَا وَرَزَقْتَنَا وَهَدَيْتَنَا
وَعَلَّمْتَنَا وَأَنْقَذْتَنَا وَفَرَّجْتَ عَنَّا لَكَ الْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ، وَلَكَ
الْحَمْدُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ، كَبِتَّ عَدُوَّنَا، وَبَسَطْتَ رِزْقَنَا،
وَأَظْهَرْتَ أَمْنَنَا، وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا، وَأَحْسَنْتَ مُعَافَاتِنَا، وَمِنْ كُلِّ وَاللَّهِ
مَا سَأَلْنَاكَ، رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا، لَكَ
الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ سِرٍّ أَوْ
عَلَانِيَةٍ أَوْ خَاصَّةٍ أَوْ عَامَّةٍ أَوْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ أَوْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ، لَكَ
الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ (١).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُتُوبُ إِلَيْكَ وَنُؤْمِنُ
بِكَ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ، وَنُشِيي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، نَشْكُرُكَ وَلَا نَكْفُرُكَ،

(١) هذا الدعاء كان الحسن البصري رحمه الله يفتتح به خطبه.

اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ،
 وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدِّ بِالْكَفَّارِ مُلْحِقٌ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا
 فِيْمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيْمَنْ عَافَيْتَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيْمَا أَعْطَيْتَ، وَتَوَلَّنَا
 فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ،
 إِنَّهُ لَا يُدْزِلُ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ
 مِنْكَ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.

أما بعد :إخواني وأحبائي في الله ﷻ يسعدني أن أكتب لكم
 هذه الرسالة في معرفة الله ﷻ، وهي رسالة يحتاج إليها كل مسلم
 ومسلمة وخاصة الدعاة إلى الله ﷻ، في هذا الزمن الذي علا فيه
 الباطل ورفع أعلامه، وأخذ أهله يتظاهرون في كل مواقعهم أنهم
 أهل العلم والرقى والحضارة في كل مجالات الحياة ويتهمون
 المسلمون بالجهل والرجعية والتخلف، والمسلمون ببعدهم عن
 دينهم وعدم معرفتهم بربهم يصدقونهم، بيد أن هذه العلوم التي
 يفتخرون بها هي من علوم ظاهر الحياة الدنيا.. وقد قال الله ﷻ

ساخراً منهم ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى ﴿ فَأَعْرَضَ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٢).

نظروا إلى مخترعاتهم .. فكأني بهم ينظرون إلى أنفسهم علواً واستكباراً يقولون : من أقدرُ منا ؟! من أعلمُ منا ..؟! من أشدُّ منا قوة ..!؟.

فما نتيجة العلو والاستكبار ؟!

قال الحق ﷻ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) فالله ﷻ أعطى الإنسان بعض المواهب وبعض الإمكانات ليكتشف بعض أسراره في هذا الكون ليزداد إيماناً بربه، فظن بهذه

(١) سورة الروم - الآية ٧ .

(٢) سورة النجم - الآية ٢٩ .

(١) سورة يونس - من الآية ٢٤ .

الإمكانات أنه قادر على أن يتصرف في هذه الحياة وفق ما يريد،
ويفعل ما يشاء بذاته .

فلما ظنوا هذا الظن، ونسوا قدرة الله ﷻ، ونسبوا التقدم
لأنفسهم .. واعتقدوا باطلاً أنهم قادرون عليها.
حينئذ يأتي أمر الله لينهي كل حضارة، وكل تقدم وصلوا إليه ..
فأصبحت حصيداً كأن لم تكن .

والعلم الحقيقي هو علم المعرفة بالله ﷻ .. فالله ﷻ هو
أشرف معلوم .

فيجب على المسلم أن لا ينهر بما انهر به غيره وهو يحمل
أعظم العلوم وأشرفها .. وأن لا يغفل عن الدرجة الرفيعة التي خصه
الله بها وهي الدعوة إلى الله على بصيرة .. حيث أنه الوارث لرسول
الله صلى الله عليه وسلم .

وأن لا يحتقر لما في يديه من صلاحيات، وأن لا ينام عن
دوره، وأن لا يتكاسل عن رسالته، فلو فطن إلى العلم المودع في

قلبه ﴿ فَاَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١) لرفع رأسه عالياً وانصلح حاله.. ولفهم أن علم المعرفة بالله هو في الذروة من كل العلوم .. وهو العلم الذي كلف بتبليغه .. وهو المقام العالي الذي أراده الله ﷻ لكل مسلم فهيا بنا معاً نستنشق عبير الإيمان ونحن نقرأ هذه الرسالة التي تتكلم عن عظمة ربنا سبحانه وتعالى فما أحلى الكلام عن الله ﷻ.

(اللهم عطر ألسنتنا بذكرك.. وشكرك.. والدعوة إليك)

إعداد

محمد على محمد إمام



الله

الله جل جلاله قيوم قاهر فوق عباده مستوي على عرشه كما

قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١)(٢).

(١) سورة طه - الآية ٥.

(٢) سئل مالك: كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم مسح رأسه فقال: (الرحمن على العرش استوى) كما وصف نفسه ولا يقال له: كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعه، أخرجوه، فأخرجوا الرجل. وسأله رجل آخر فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول.

وقال عبد الله بن نافع: قال مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان (تاريخ الإسلام ١٧٩/٥).

وقيل لربيعة الرأي: كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق. (تاريخ الإسلام - ٥٢/٤).

قال علي بن الحسن بن شقيق: قلت لابن المبارك: كيف تعرف ربنا عز وجل؟ قال: في السماء على العرش ولا نقول كما قالت الجهمية هو معنا. (تاريخ الإسلام - ٣٠٠/٥).

وقال الأوزاعي - رحمه الله - كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله سبحانه على العرش ونؤمن بما ورد في السنة من الصفات .

بائن من خلقه (ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته).

منفرد بتدبير مملكته، متكلم بأمره ونهييه، بصير بحركات العالم علويه، وسُفليه، وأشخاصه وذواته، سميع لأصواتهم، رقيب على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره، يأمر وينهى، يخلق ويرزق، يحيى ويميت، ويقضى وينفذ، يرضى ويغضب، يثيب ويعاقب، يعز ويذل ، يُعطي ويمنع، يرفع ويخفض: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

ويرحم إذا أسترحم، ويغفر إذا أستغفر، ويجيب المضطر ويكشف الضر: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران - الآية ٢٦.

(٢) سورة النمل - الآية ٦٢.

ويشفى السقيم: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُشِّفْنِي﴾ (١).

ويجيب إذا دعى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٢) ويقبل إذا استقبل.

موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الجلال، منزهاً من العيوب

والنقائص والمثال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٣).

وهو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه،

يقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول يذهب

بدولة ويأتي بأخرى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٤).

والرسل من ملائكته عليهم الصلاة والسلام بين صاعد بالأمر،

ونازل من عنده بالأمر: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

يُؤْمَرُونَ﴾ (٥).

(١) سورة الشعراء - الآية ٨٠.

(٢) سورة البقرة - من الآية ١٨٦.

(٣) سورة الشورى - من الآية ١١.

(٤) سورة آل عمران - من الآية ١٤٠.

(٥) سورة التحريم - من الآية ٦.

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١).

ينفذون أوامره في أقطار الممالك، وأوامره ومراسمه متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته .

ما شاء الله كان في الوقت الذي شاء على الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢).

وأوامره وسلطانه نافذة في السماوات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار، وفي الجو، وسائر أجزاء العالم، وذراته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما شاء وفق حكمة بالغة وإرادة نافذة.

حي لا يموت أبداً، قيوم لا ينام ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

(١) سورة النحل - الآية ٥٠ .

(٢) سورة يس - الآية ٨٢ .

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١﴾.

متفرد بالإلهية لكل الخلائق، حي في نفسه لا يموت أبداً ،
قائم لا ينام ، قائم بذاته ، المقيم لغيره ، فجميع الموجودات مفتقرة
إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه،
وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ (٢).

لا يغفل عن تدبير الخلق، ولا يعتريه فتور ولا نقص ولا غفلة
ولا ذهول عن خلقه ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣)
فالجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة - الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الروم - من الآية ٢٥ .

(٣) سورة البقرة - الآية ٢٥٥ .

(٤) سورة مريم - الآية ٩٣ .

ومن عظمته وجلاله وكبريائه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة حتى النبي محمد ﷺ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١).

السميع البصير: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢).

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٣)

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٤).

البصير: الذي لكمال بصره، أحاط بصره جميع المرئيات، وأبصر جميع المبصرات، بل يبصر جميع المعدومات، التي سوف تكون في حيز الوجود، يبصر الأشياء على ما ستؤول إليه، ويعلم حقائقها، ودقائقها، وما وراءها من المقاصد والغايات .

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٥٥.

(٢) سورة غافر _ الآية ٢٠ .

(٣) سورة النساء _ الآية ١٣٤.

(٤) سورة طه - الآية ٤٦ .

فيرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة
الظلماء ويرى نياط عروقها ومجارى القوت في أعضائها.

ويرى ما تحت الأراضي السبع كما يرى ما فوق السماوات
السبع ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (١).

ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها وجميع
النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق
النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك.

ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان وحركات الجنان، قال
تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ (٢).

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (٣).

﴿ وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (٤).

(١) سورة العلق - الآية ١٤ .

(٢) سورة الشعراء - الآيتان ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣) سورة غافر - الآية ١٩ .

(٤) سورة طه - الآية ٧ .

﴿ **والله على كل شيء شهيد** ﴾^(١) ، أي مطلع ومحيط علمه

وبصره وسمعه بجميع الكائنات.

السميع: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، والذي لكمال

سمعه وسع سمعه الأصوات ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف

اللغات على تفنن الحاجات ، فلا تختلف عليه ، ولا تشبه عليه ،

ولا يشغله سمع عن سمع ، ولا يشغله صوت عن صوت ، ولا

يغيب عنه صوت، ولا يخفى عليه صوت ديبب النملة، أو حركة

الذرة، أو ذبذبات الصخور في أعماق البحار، أو في أعالي الجبال،

لا يغيب عن سمعه المعدومات وهي التي لم تدخل في حيز الوجود بعد

ولا تغطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بالحاح (ذوي الحاجات) الملحنيين .

الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من

السر ﴿ **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ**

بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾^(٢) .

(١) سورة البروج - الآية ٩ .

(٢) سورة الرعد - الآية ٢٠ .

فالسّر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا.. وكذا.. في وقت كذا.. وكذا.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (١).

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِدَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢).

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (٣).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران - الآية ٥.

(٢) سورة التغابن - الآية ٤.

(٣) سورة سبأ - الآية ٢.

(٤) سورة المجادلة - الآية ٧.

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١).

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي

السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢).

أحاط الله - ﷻ - بكل شيء علما وأحصى كل شيء عدداً

ووسع كل شيء رحمة وعلماً وعدلاً.

العالم بكل شيء .. ولكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق

وما خلفهم ، وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم .

لا يتقيد علمه بزمان ولا مكان .. ولا يعتريه النسيان .. ولم يسبق

علمه جهل.

يعلم دبيب الخواطر في القلوب.

عليم بالجزئيات كما هو عليم بالكليات .

(١) سورة يونس - من الآية ٦١ .

(٢) سورة لقمان - الآية ١٦ .

عليم بدقائق الأمور وأسرار المقدور وهو بالظاهر بصير وبالباطن

خبير .

لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى
الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال وعدد قطر الأمطار وعدد ورق
الأشجار وعدد حبات الرمال وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه
النهار ولا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا بحر ما في
قعره، ولا جبل ما في وعره ، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا
هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا
حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴾ ^(١). وما تسقط من ورقة إلا يعلمها متى نبتت؟، ومتى
سقطت؟، ولما سقطت؟، وأين سقطت؟، وفي أي شيء سقطت؟ .
{ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ } ^(٢).

(١) سورة الأنعام - الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأنعام - الآية ٥٩ .

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (١) .

أخرج الحيوان وهو حي من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة وهي ميتة من الحيوان وهو حي، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، والزرع من الحب، والحب من الزرع، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة. قائم على كل نفس بما كسبت، مدبر لشئون خلقه وفق حكمة بالغة، وإرادة نافذة، وقدرة منفذة، فله القدرة التامة، والمشية النافذة والعلم المحيط بما كان وبما سيكون وبما هو كائن. الشكور: الذي يشكر القليل من العمل، ويعفو عن الكثير من الزلل.

وهو (القوي، العزيز، المتين، القدير): تقتضي كمال قوته وعظمته وكبريائه، فلا يملك الخلق نفعه فينفعوه، ولا ضره فيضره،

وكمال اقتداره على جميع الموجودات والمعدومات، وأن جميع العالم طوع قُدرته ومشيتته، يَتَصَرَّفُ فيها بما يشاء وكيف يشاء. وهو العلى الذي لا تدرك ذاته ولا تتصور صفاته فسبحان من لا يدرك ذاته إلا ذاته ولا يحيط الخلق مجتمعين أو متفرقين بصفة من صفاته .

وهو العلى الذي لا يزيده تعظيم العباد علواً ، إذ هو عالٍ بذاته وصفاته على سائر خلقه غنى عنهم وهم الفقراء إليه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وهو المتعال عن الأنداد والأضداد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) فلا يدانيه أحد مهما علت رتبته ، فهو الذي يمنع عباده ما شاء من فضله ، ويضع من شاء في أي رتبة شاء ، وهو ولى النعم ومسديها .

تعالى بفضله ورحمته عن الوجود كله.. تمت كلمته صدقاً وعدلاً ، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شياً ومثلاً ، وتعال

(١) سورة الشورى - من الآية ١١ .

ذاته أن تشبه شيئاً من الذوات أصلاً. ووسعت الخليفة أفعاله عدلاً وحكمة ورحمة وإحساناً وفضلاً.

له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله الثناء والمجد، وله الثناء الحسن، له الملك كله، وله الحمد كله، ويده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، علانيته وسره، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء ووسعت نعمته كل حي.

بيدى ويعيد، لا يفنى ولا يبيد ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١)، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، هو الأول (الذي ليس قبله شيء) ، والآخر (الذي ليس بعده شيء) ، والظاهر (الذي ليس فوقه شيء) ، وهو العالي على كل شيء وهو الغالب الذي لا يغلب، القاهر الذي لا يقهر ، الظاهر للعقول بالدلائل ، الذي دلت كل

(١) سورة القصص - من الآية ٨٨ .

(٢) سورة الحديد - الآية ٣ .

الدلائل المادية والمعنوية على وجوده ووحدانيته في الذات والصفات والأفعال)، والباطن (الذي ليس دونه شيء)، والباطن (الذي بطن كل شيء أي علم باطنه وخفاياه)، والباطن (عن إدراك الحواس وتوهمات الخيال)، والباطن: الذي احتجب بقوة ظهوره عن سائر خلقه فلا تدركه الأبصار.

الرزاق: الذي يعطى كل كائن حي ما يحفظ به حياته سواء بالأسباب أو بدون الأسباب أو ضد الأسباب ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١).

الرزاق: لجميع المخلوقات، فما من موجود في العالم العلوي والعالم السفلي إلا متمتع برزقه، مغمور بكرمه (٢).

(١) سورة هود - الآية ٦ .

(٢) ورزقه نوعان: أحدهما الرِّزْقُ النافع الذي لا تبعة فيه، وهو موصل للعبد إلى أعلى الغايات، وهو الذي على يد الرسول ﷺ بهدايته وإرشاده، وهو نوعان أيضاً: رزق القلوب بالعلوم النافعة والإيمان الصحيح؛ فإن القلوب لا تصلح ولا

الوهاب: الذي يعطى من يشاء ، متى شاء ، في أي وقت شاء ،
على الوجه الذي يشاء .. بغير حساب .

تفوح ولا تشبع حتى يحصلَ لها العلمُ بالحقائق النافعة، والعائد الصائبة، ثم التحقق بالأخلاق الجميلة، والتَّنَزُّه عن الأخلاق الرذيلة، وما جاء به الرسول كفيلاً بالأمر على أكمل وجه؛ بل لا طريق لها إلا من طريقه.

والنوع الثاني: أن يغنيَ الله عبده بحلاله عن حرامه، ويفضله عن سواه، والأول هو المقصود الأعظم، وهذا وسيلة إليه ومعين له، فإذا رَزَقَ الله العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والرزق الحلال والقناعة بما أعطاه الله منه، فقد تَمَّتْ أموره، واستقامتْ أحواله الدينية والبدنية، وهذا النوع من الرزق هو الذي مدحتْهُ النصوص النبوية، واشتملتْ عليه الأدعية النافعة.

= وأما النوع الثاني: وهو إيصال الباري جميع الأوقات التي تتغذى بها المخلوقات؛ برها وفاجرها، المكلفون وغيرهم، فهذا قد يكون من الحرام كما يكون من الحلال، وهذا فصل النزاع في مسألة: هل الحرام يسمى رزقاً أم لا؟ فإن أريد النوع الأول وهو الرزق المطلق الذي لا تبعه فيه، فلا يدخل فيه الحرام، فإن العبد إذا سأل ربه أن يرزقه، فلا يريد به إلا الرزق النافع في الدين والبدن، وهو النوع الأول، وإن أريد به مطلق الرزق، وهو النوع الثاني، فهو داخل فيه، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ومثل هذا يُقال في النعمة والرحمة ونحوها (بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين).

والوهاب: الذي يهب العطاء دون عوض ويعطي النعمة بغير سؤال ويهب ما شاء لمن شاء من المواهب بدون أسباب ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (١).

الجواد، الكريم: الذي عمَّ بجلوده أهل السماء والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسَّهم الضرُّ فإليه يرجعون، وبه يتضرَّعون، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منَّ عليهم من الأساليب المقتضية لجلوده وكرمه.

فإنه - تعالى - الجواد المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، فكما أنه الجواد بإعطاء الخيرات، ونيل المواهب والهبات والبركات؛ فإنه الجواد بالحلم عن العاصين، والستر على المخالفين، والصبر على المحاربين له ولرسله المبارزين، والعفو عن الذنوب.

المقيت: الذي يعطي القوت لكل مخلوق حيث كان.

(١) سورة الشورى - من الآية ٤٩ .

اللطيف: الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

الخبير.

اللطيف: الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا والخبايا، وما احتوت

عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور، ولطف بأوليائه

وأصفيائه، فيسّرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وسهّل لهم كل طريق

يوصل إلى مَرْضاته وكرامته، وحفظهم من كل سبب ووسيلة توصل

إلى سخطه، من طرق يشعرون بها، ومن طرق لا يشعرون بها، وقَدَّر

عليهم أمورًا يكرهونها لينيلهم ما يُحبون، فلطف بهم في أنفسهم،

فأجراهم على عوائده الجميلة، وصنّاعه الكريمة، ولطف لهم في

أمور خارجة عنهم، لهم فيها كل خير وصلاح ونجاح، فاللطيف

مُقارب لمعاني الخبير الرَّؤُوف الكريم.

الجميل: جميل في ذاته، وجمال المخلوقات بأسرها من آثار

جماله، وهو الذي أعطاهم الجمال.

جميل في أسمائه؛ لأنها كلها حُسنى .. وجميل في صفاته؛ إذ
كلها صفات كمال .. وجميل في أفعاله، فلا أحسن منه حكماً ولا
وصفاً.

الخالق: خالق الأشياء والأحوال يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج
لأحد من خلقه وهو الصمد .

هو الخالق لكل شيء .. المالك لكل شيء .. المهيم على
كل شيء .. المتصرف في كل شيء .. المدبر لكل شيء .. القادر
على كل شيء .. الرازق لكل شيء.
الخالق .. المقدر الموجد المبدع .. الخالق الذي أوجد كل
شيء من العدم على غير مثال سابق.

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾^(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ
شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾^(١) .

(١) سورة الزمر - الآية ٦٢ .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

وفى الحديث القدسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخالقي، فليخلقوا حبةً، وليخلقوا ذرةً، أو ليخلقوا شعيرةً " متفق عليه (٤) .

الله ﷻ خالق ومستوٍ في خلقه السموات والذرة، وكذلك الفيل والنملة.

والله ﷻ ما استفاد اسم الخالق بعد الخلق فهو " خالق " قبل أن يخلق الخلق .

-
- (١) سورة الحج - الآية ٧٣ .
 - (٢) سورة لقمان - الآية ١١ . .
 - (٣) سورة النحل - الآية ١٧ .
 - (٤) رياض الصالحين - باب تحريم الصور .

والله **عَلَّامٌ** ما استفاد اسم الباري بعد إحداث البرية فهو " الباري " قبل إحداث البرية.

والله **عَلَّامٌ** ما خلقنا بحاجة منه إلينا بل خلقنا اقتداراً منه علينا.
والله **عَلَّامٌ** ما خلق الخلق بحاجة منه إلى الخلق بل هو غني عن خلقه.. غني بذاته.. ليس غني بالإنسان أو بالملائكة أو بالسموات أو بالأرض أو بالجبال.. الخ.

بل غني بذاته، وكل الذوات محتاجة إلى ذاته سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١).

الغني: الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً كريماً، ومن سعة غناه أن خزائن السموات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع

اللحظات والأوقات، وأنَّ يده سحاء الليل والنهار ، وخيره على الخلق مدارار .

الغني: بذاته عن جميع مخلوقاته، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه بوجه من الوجوه، فكلُّ المخلوقات مُفتقرة إليه في إيجادها، وإعدادها، وإمدادها في أمور دينها ودنياها، في جلب المنافع ودفع المضار، وهو الذي أغناها وأقناها، ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكنْ له كُفؤًا أحد، ومن سعة غناه أن جميع الخيرات والعطايا والنعم في الدنيا والآخرة والنعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أُذُن سَمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشر، قطرةً من بحر غناه وجوده وكرمه، فهو الغنيُّ بذاته، المستغني عن جميع مخلوقاته، المغني لعباده، بما أدَّرَه عليهم من الخيرات، وأنزله من البركات.

ومن كمال غناه وكرمه أنه يأمر عباده بدعائه، ويعددهم بإجابة دعواتهم وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه، ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم

في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأله وما بلغت أمانيه
ما نقص من ملكه مثقال ذرة .

ومن كمال غناه وسعة عطاياه ما يبسطه على أهل دار كرامته من
النعيم واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبة، ولا ولداً، ولا شريكاً في
الملك، ولا ولياً من الذل فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه،
المغني لجميع مخلوقاته .

الغني: الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه وهو المغني
جميع خلقه، غنيّ عاماً، المغني لخواص خلقه، بما أفاض على
قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية.

وله الغنى المطلق من جميع الكائنات.. وله الحكمة الباهرة
التي بهرت جميع المخلوقات.. وله الكلمات التامات النافذات
التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر في جميع البريات.. قيم الأرض
والسماوات.. الحي القيوم الذي لكمال حياته، وقيومته، لا تأخذه

سنة ولا نوم.. ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، بل هو بائن من خلقه، مستوٍ على عرشه، عالٍ على كل شيء، وفوق كل شيء، له علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

المجيب: لجميع الداعين، والمجيب خاصة للمضطرين، وكذلك المحيّن الخاضعين لعظمته، المنكسرة قلوبهم من أجله.

الصمد: وهو السيد الذي كمل في سؤدده.

الصمد: وهو الذي صمدت له المخلوقات بحاجاتها وملمّاتها الدقيقة والجليلة؛ وذلك لكمال عظمته، وسعة جوده وسلطانه، وعظمة صفاته.

والصمد: الذي تصمد إليه أي تقصده جميع المخلوقات بالذّل والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد كمل في علمه، وحكمته، وحلمه، وقدرته، وعظمته ورحمته، وسائر أوصافه، فالصمد هو كامل الصفات، وهو الذي تقصده المخلوقات في كل الحاجات.

البارئ: المصلح الذي يعطى كل شيء ما يناسبه من الخلق

والتكوين والتسوية وفق علمه وإرادته وقوته.

المصور: الذي خص كل موجود بصورة تميزه عما سواه فأحدث

الصورة على أي نحو شاء وعلى أي كيفية أراد ﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ**

فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾^(١)، ﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾^(٢).

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾^(٣)، ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ**

خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ

مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾^(٤).

القهار، الجبار: الذي قهر كل المخلوقات، ودانت له الموجودات

بأسرها، ومن لوازم قهره أنه يقتضي أنه كامل الحياة والعلم والقدرة،

(١) سورة الانفطار - الآية ٧.

(٢) سورة غافر - الآية ٦٤.

(٣) سورة الانفطار - الآية ٧.

(٤) سورة السجدة - الآيات من ٧ : ٩.

والجبارُ بمعنى القهار، وبمعنى أنه يجبر الكسير، ويُغني الفقير، ويجبر القلوب المنكسرة من أجله، ويجبر عبده المؤمن بإصلاح حاله، وهو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى المتكبر عن كل نقص وسوء ومثال.

الحسيب: المحاسب لعباده، المتولي جزاءهم بالعدل والفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين؛ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١)؛ أي: كافيه أمور دينه ودنياه.

الرشيد: وهو الذي أقواله رشد، وأفعاله رشد، وهو مُرشد الحائرين في الطريق الحسي، والضالين في الطريق المعنوي، فيرشد الخلق بما شرعه على السنة رساله من الهداية الكاملة، ويرشد عبده المؤمن، إذا خضع له، وأخلص عمله، أرشده إلى جميع مصالحه، ويسره ليسرى، وجنبه العسرى.

(١) سورة الطلاق - الآية ٣ .

الحكم، العدل: الذي إليه الحكم في كل شيء، فيحكم - تعالى - بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرُق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيهم بأحكام القضاء والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته، ويضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمدهم الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة.

الْقُدُّوسُ السَّلَامُ: وهو المعظم المقدس عن كل عيب، السالم من كل نقص، ومن أن يكون له مثل أو كفو أو ند أو سمي؛ وذلك لكماله وكمال أسمائه الحسنی وصفاته العلی.

الْفِتَاحُ: الذي فتح بأحكامه القدرية والشرعية والجزائية، فشرع الشرائع، وسن لعباده الأحكام والوسائل والطرق التي يهتدون بها إلى جميع منافعهم ومصالحهم، ويحكم بين الرُّسل وأتباعهم وبين أعدائهم، فيكرم الرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، ويهين أعداءهم،

ويكون هذا أكبر دليل على أن هؤلاء على الحق، وأولئك على الباطل.

الفتاح: الذي يفتح لعباده الرحمة والبركات؛ قال تعالى: { مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ }^(١).

الفتاح: الذي يفتح لعبده المؤمن أبواب المعارف، وحلاوة الإيمان، وسرور اليقين، وسهولة الطاعات، وتيسير القربات.

النور: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُوْرٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }^(٢). نور السموات والأرض،

(١) سورة فاطر - الآية ٧٢ .

(٢) سورة النور - الآية ٣٥ .

وبنوره استنارت قلوب المؤمنين، وبنوره استنارت جنات النعيم، وحجابه نور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه^(١).

(١) والنور الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة، وأما النور المخلوق فهو نوعان: نور حسي كنور الشمس والقمر والكواكب وسائر المخلوقات، المدرك نورها بالأبصار، والثاني: نور معنوي، وهو نور المعرفة والإيمان والطاعة، فإن لها نوراً في قلوب المؤمنين بحسب ما قام في قلوبهم من حقائق المعرفة، ومواجيد الإيمان، وحلاوة الطاعة، وسرور المحبة، وهذا النور هو الذي يمنح صاحبه من المعاصي ويجذبه إلى الخير، ويدعو إلى كمال الإخلاص لله، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: « اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، ومن بين يدي نوراً، ومن خلفي نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً، وزدني نوراً » رواه مسلم.

وهذا النور الذي يعطيه الله عبده أعظم منة منه عليه، وهو أصل الخير، وهذا النور مهما قوي فإنه مخلوق، فإياك أن تضعف بصيرتك، ويقل تمييزك وعلمك، فتظن هذا النور نور العيان، ومشاهدة القلب لنوع الذات المقدسة؛ وإنما هو نور المعرفة والإيمان، ويبتلى بهذا بعض الصوفية الذين ترد عليهم الواردات القوية، فيقع منهم من الشطح والخطل ما ينافي العلم والإيمان، كما أن كثيف الطبع، جافي القلب قد تراكمت عليه الظلمات، وتوالت عليه الغفلات، فلم يكن له من هذا النور حظ ولا نصيب؛ بل ربما ازدرى من سفاهة عقله وقلة جده هذه الأحوال، وزهد فيها، فمتى من الله على العبد بمعرفة صحيحة متلقاة من الكتاب

الظاهر بذاته مُظهِرٌ لغيره ظاهر بذاته مُنَزَّهٌ عن العدم.
النور الهادي الرشيد الذي يُرشد بهدأيته من يشاء فيبين له
الحق ويُلهمه اتباعه.

أسماءه كلها مدح، وحمد، وثناء، وتمجيد، ولذلك كانت
حسنى وصفاته كلها صفات كمال ونعوته كلها جلال وأفعاله كلها
حكمة ورحمة ومصلحة وعدلاً.

كل شيء من مخلوقاته دال عليه ومرشد لمن رآه بعين البصيرة
إليه .

لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولا ترك الإنسان
سدى عاطلاً .. بل الخلق لقيام توحيده وعبادته وأسبغ عليهم نعمه
ظاهرة وباطنة، ليتوسلوا بشكرها إلى زيادة كرامته .

والسنة، وتفقه في أسماء الله وصفاته وتعبد لله بها، واجتهد أن يحقق مقام
الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، ولهج بذكر الله - تعالى
- استتار قلبه، وحصل له من لذة المعرفة، ومواجيد الإيمان أعظم اللذات، وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. (بهجة الناظرين فيما يصلح
الدنيا والدين).

تعرف إلى عبادة بأنواع التعريفات وصرف لهم الآيات ونوع لهم الدلالات ودعاهم إلى محبته من جميع الأبواب ومد بينه وبينهم أقوى الأسباب فاتم عليهم نعمه السابغة وأقام عليهم حجته البالغة وأفاض عليهم النعمة وكتب على نفسه الرحمة وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته تغلب غضبه فهو عنده فوق عرشه.

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (١)،
 يغفر ذنباً ويفرج همماً ويكشف كرباً ، ويجبر كسراً ، ويغنى فقيراً ، ويعلم جاهلاً ، ويهدي ضالاً ، ويرشد حيراناً ، ويغيث لهفاناً، ويفك عانياً ، ويُشيع جائعاً ، ويكسو عارياً ، ويشفي مريضاً ويعافى مبتلىً، ويقبل تائباً، ويجزي محسناً ، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقبل عشرة ، ويستتر عورةً ، ويؤمن خائفاً ويرفع أقواماً، ويضع آخرين.
 " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ ، وَيَرْفَعُهُ (٢) ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ

(١) سورة الرحمن - الآية ٢٩ .

(٢) قَوْلُهُ: (يَخْفِضُ الْقِسْطَ ، وَيَرْفَعُهُ) فَسَرَ بَعْضُهُمُ الْقِسْطَ بِالرِّزْقِ أَيِ يُقْتَرُهُ، وَيُوسِّعُهُ، وَعَبَّرَ بِهِ عَنِ الرِّزْقِ لِأَنَّهُ قِسْطُ كُلِّ مَخْلُوقٍ أَيِ: نَصِيبُهُ، وَفَسَّرَهُ بَعْضُهُمُ

حِجَابُهُ التُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ
مِنْ خَلْقِهِ (١)(٢). " إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً سَحَاءُ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟، فَإِنَّهُ لَمْ

بِالْمِيزَانِ، وَيُسَمَّى الْمِيزَانُ قِسْطًا لِمَا يَقَعُ بِهِ مِنَ الْمَعْدَلَةِ بِالْقِسْطِ أَي: فِي الْقِسْمَةِ
وَعَبْرَتِهَا، وَهَذَا الْمَعْنَى أَوْلَى لِمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: يَرْفَعُ الْمِيزَانَ وَيَخْفِضُهُ،
وَالْمُرَادُ مِنَ الْمِيزَانِ مَا يُوزَنُ مِنْ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ النَّازِلَةِ مِنْ عِنْدِهِ وَأَعْمَالِهِمُ الْمَرْتَبَعَةَ
إِلَيْهِ يَعْنِي: فَيَخْفِضُهُ تَارَةً بِتَقْتِيرِ الرَّزْقِ، وَالْخُذْلَانَ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَرْفَعُهُ أُخْرَى
بِتَوْسِيعِ الرَّزْقِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ. وَفِي الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ هُنَا، وَفِيمَا بَعْدَهُ تَضَادٌّ
وَمُطَابَقَةٌ، وَهُمَا مُسْتَعَارَانِ مِنَ الْمَعَانِي مِنَ الْأَعْيَانِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ الْإِشَارَةَ إِلَى
أَنَّهُ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، وَأَنَّهُ يَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمِيزَانِ الْعَدْلِ، وَيَبَيِّنُ الْمَعْنَى
بِمَا شُوهِدَ مِنْ وَزْنِ الْمِيزَانِ الَّذِي يَزُنُ فَيَخْفِضُ يَدَهُ، وَيَرْفَعُهَا. قِيلَ: وَهَذَا التَّأْوِيلُ
يُنَاسِبُ قَوْلَهُ: وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ أَي: كَيْفَ يَجُورُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَهُوَ الَّذِي
يَنْصَرِفُ أَبَدًا فِي مُلْكِهِ بِمِيزَانِ الْعَدْلِ. (مشكاة المصابيح).

(١) رواه مسلم (مشكاة المصابيح ، كتاب الإيمان « باب الإيمان بالقدر ١/٣٣).

(٢) قوله: (لَا يَنَامُ) إِذِ النَّوْمُ لِاسْتِرَاحَةِ الْقَوِيِّ وَالْحَوَاسِّ وَهِيَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
مُحَالٌ.

وَلَا يَنْبَغِي لَهُ : أَي لَا يَصِحُّ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ النَّوْمُ فَالْكَلِمَةُ الْأُولَى دَالَّةٌ عَلَى عَدَمِ
صُدُورِ النَّوْمِ وَالتَّائِيَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِحَالَتِهِ عَلَيْهِ تَعَالَى وَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الصُّدُورِ
اسْتِحَالَتُهُ فَلِذَلِكَ ذُكِرَتْ الْكَلِمَةُ التَّائِيَةُ بَعْدَ الْأُولَى .

يَنْقُصُ مَا فِي يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَيَدِهِ الْأُخْرَى الْفَيْضُ، أَوْ الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ " (١).

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة (٢) الأمور بيده، معقودة بقضائه وقدره .

يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، رفع السماء بغير عمدٍ ترونها ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوياتٌ بيمينه، ويضع السماوات على إصبع والأراضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وبقية الخلق على إصبع ، ثم يقبض سماواته كلها بيده الكريمة والأرضين بيده الأخرى ثم يهزهن هزاً ثم يقول أنا الملك.. أنا الملك ..أين ملوك الأرض.. أنا الجبار.. أنا المتكبر.. أين الجبارون.. أين المتكبرون.

(١) صحيح البخاري _ رقم الحديث (٩٨٩٣) ، رواه مسلم _ رقم الحديث (١٦٦٥).

(٢) أزمة : جمع زمام.

أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً .. وأنا الذي أعيدها كما بدأتها .. فالسماوات السبع في كفه كخردلةٍ في كف أحدكم .
ولو أن الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صنفاً واحداً ما أحاطوا بالله عز وجل .

ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً .
ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئاً .

ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم ، حيهم وميتهم ، رطبهم ويابسهم ، قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحدٍ منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة (إلا كما ينقص المحيط إذا أُدخل البحر) .

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾ (١) .

الله ﷻ لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .. متعالٍ ليس شيء أعلى منه .. لا ند له .. لا مساوٍ له .. لا شبيه له .. لا نظير له .. لا مثيل له .. لا وزير له .. لا ضد له .. كبير وما دونه صغير .. قوى وما دونه ضعيف .. عزيز وما دونه حقير .

الله جل جلاله .. أعلى وأعظم من أن نتخيله .. كل ما خطر ببالك فالله ﷻ فوق ذلك .. لا يقارن بمخلوق .

كل شيء خاضع لأمره ، كل شيء طائع لأمره ، كل شيء خاشع له . عز كل ذليل ، غنى كل فقير ، مغيث كل ملهوف ، مفرج عن كل مكروب .

كنز الفقراء .. حصن الضعفاء .. أمان الخائفين .

سميع عليم .. سميع بصير .. سميع خبير .

واحد لا يتعدد .. أحد لا يتبعض .

(١) سورة الروم - من الآية ٢٧ .

الله ﷻ لا يسأل عنه متى كان ..؟ لأنه هو خالق الزمان
 والمكان، وهو الذي بدأ نظام الكون وهو الذي ينهي نظام الكون..
 ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾^(١) ولما ينتهي
 نظام الزمان يبدأ نظام أهل الجنة (يا أهل الجنة خلوداً بلا موت) .
 الله ﷻ أحق من ذكر .. وأحق من عُبد .. وأحق من حُمِدَ ..
 وأولى من شُكِرَ .. وأنصر من أبتغى .. وأرأف من ملك .. وأجود
 من سُئِلَ .. وأعفى من قدر .. ومغفرته عن عزته .. ومنعته عن
 حكيمته .. وموالاته عن إحسانه وبره وعطفه وكرمه ورحمته.
 الله ﷻ .. هو الملك لا شريك له .. والفرد لا ند له ..
 والغنى فلا ظهير له .. والصمدُ فلا ولد له .. ولا حاجة له .. والعلي
 فلا شبيه له .. ولا سمي له ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾^(٢) .
 كل شيء هالك إلا وجهه .. وكل ملك زائل إلا ملكه .. وكل ظل
 قالص إلا ظله .. وكل فضل منقطع إلا فضله .

(١) سورة التكوير - الآيتان ١، ٢ .

(٢) سورة مريم - من الآية ٦٥ . .

لن يطاع إلا بإذنه ورحمته ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته.
 يطاع فيشكر .. ويُعصى فيتجاوز ويغفر .
 كل نعمة منه عدل .. وكل نعمة منه فضل .
 ما للعباد عليه حق واجب كالا ولا سعي لديه ضائع
 إن عذبوا فبعده وإن نعموا بفضلته وهو الكريم الواسع
 أقرب شهيد.. وأدنى حفيظ.. حال دون النفوس.. وسجل
 الآثار.. وكتب الآجال.. القلوب له مفضية.. والسر عنده علانية..
 والغيب عنده شهادة .
 عطاؤه كلام وعذابه كلام .. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له
 كن فيكون.

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ
 تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (١) .

قل يا محمد ﷺ لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به
 كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه وعلى قدرته لنفد البحر قبل أن

(١) سورة الكهف - من الآية ١٠٩ .

يفرغ من كتابه ذلك ﴿ **وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ أي بمثل البحر بحراً
ثم آخر وهلم جرا .. بحور تمده ويكتب بها ما نعدت كلمات الله
كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ
يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ** ﴾ (١).

لَوْ كَانَ شَجَرُ الْأَرْضِ أَقْلَامًا وَمَعَ الْبَحْرُ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا كَانَ لِيَتَنَفَّدَ
عَجَائِبِ رَبِّي وَحِكْمَتِهِ وَخَلْقِهِ وَعِلْمِهِ.
لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَالْأَشْجَارُ كُتُبًا أَقْلَامًا
لَانْكَسَرَتْ الْأَقْلَامُ وَفَنِيَ مَاءُ الْبَحْرِ وَبَقِيَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ قَائِمَةً لَا
يُفْنِيهَا شَيْءٌ.

لو أن أشجار الأرض منذ أن خلقها الله ﷻ إلى أن تنقضي
الدنيا أقلام والبحر من وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداداً
لتكسرت الأقلام وفنيت وفني المداد وبقيت كلمات الله ﷻ قائمة

(١) سورة لقمان - الآية ٢٧ .

لا يفتيها شيء، وكيف تفتى كلماته جل وعلا وهي لا بداية لها ولا نهاية .

فالمخلوق هو أحق بالفناء لأنه له بداية وله نهاية، لا يستطيع أحد أن يقدر قدرة الله ﷻ ولا يشئ عليه كما ينبغي حتى هو الذي يشئ على نفسه كما قال ﷻ في الدعاء: " لا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ . "(١).

(إِنَّ رَبَّنَا كَمَا يَقُولُ وَفَوْقَ مَا نَقُولُ)



(١) هذا جزء من حديث عائشة رضی الله عنها وهو في صحيح الجامع رقم (١٢٩١) وفي صحيح أبو داود (٨٢٣) .. والحديث: " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك " .

المراجع

- القرآن الكريم .
- رياض الصالحين للنووي.
- كتاب مدارج السالكين - ج ١ ، ٢ ، ٣ - لابن القيم .
- الوابل الصيب من الكلم الطيب - لابن القيم .
- مختصر تفسير ابن كثير.
- تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - دار الغد العربي.
- أسماء الله الحسنى - د. محمد بكر اسماعيل - دار المنار.
- بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين للشيخ عبد الله بن جار الله آل جار الله.
- العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي.
- معارج القبول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أخي الحبيب

احرص على اقتناء سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ
والدعوة.. فقد جمعت لك فيه خلاصة قول مشايخنا في
جهد النبوة ، وأسأل الله أن ينفعنا وإياكم بها. (محمد إمام).

للتواصل

بريد الكتروني:

Emam2030@gmail.com

تليفون محمول: ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦ _ ٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨



حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف



بسم الله